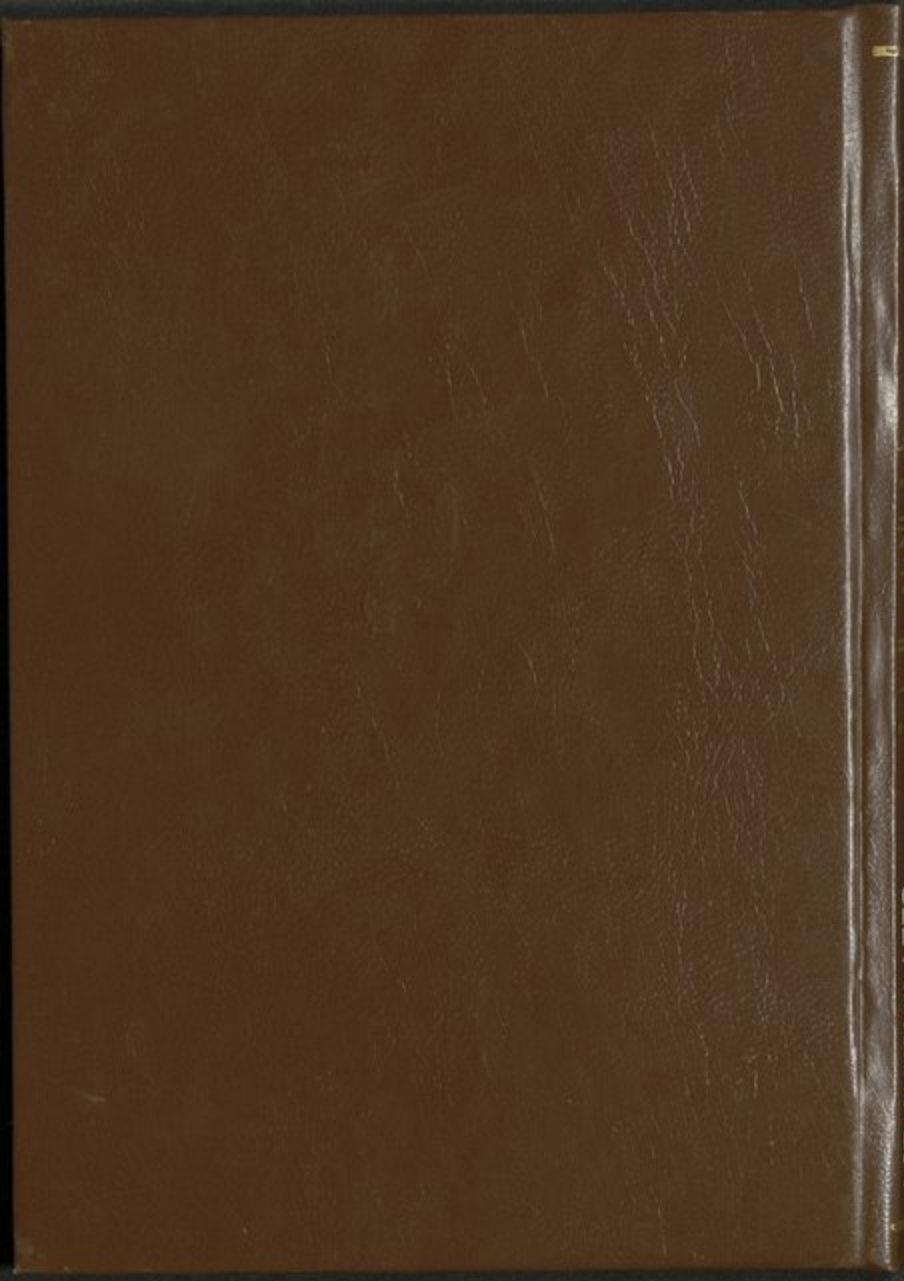




U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



AUB. LIBRARY

لجنة الشباب المسلم

٩

نظرة الإسلام السياسية

(معرب عن الأردية)

أبو الأعلى المودودي

أمير الجماعة الإسلامية بالباكستان

(٢)

لجنة الشباب المسلم

(للتأليف والترجمة والنشر)

غرض اللجنة المشاركة في تكوين الوعي الإسلامي
الرشيد عن طريق :

- ١ - نشر الكتب الإسلامية قديمها وحديثها .
- ٢ - ترجمة ما كتبه أهل الشرق والغرب عن الإسلام .
- ٣ - مجابهة مشاكل العصر الاجتماعية والسياسية
والاقتصادية بأبحاث وافية ملائمة .
- ٤ - نشر تعاليم الإسلام بين الناس بإخراج طبعات
شعبية رخيصة الثمن ، أنيقة الطبع ، وإنشاء الندوات
الفكرية وإخراج مجلة إسلامية

المراسلات باسم :

محمد رشاد رفيق سالم عضو اللجنة والمسئول عن النشر
٩٠ شارع أبي بكر الصديق بمصر الجديدة

لجنة الشباب المسلم

322

M46nA

C1

نظرة الإسلام السياسية

(معرب عن الأردية)

أبو الأعلى المودودي

أمير الجماعة الإسلامية بالباكستان

(٢)



بسم الله الرحمن الرحيم

لقد طلب إلى بعض الأصدقاء من أولى العلم والرأى أن أقدم لهذه الرسالة وأخواتها بكلمة عن مؤلفها وعن الجماعة الإسلامية ودعوتها ، ليتمكن القارئ العربي من الاستئناس بالجو الذي نشأ فيه المؤلف ، وباليئة التي ساعدت في تكوين شخصيته ، والاطلاع على الظروف والملابسات التي رافقت الدعوة من أول يومها .

وإذ سبق لي تأليف كتاب جامع في « تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند » — وأيضاً قد صحت العزيمة على تلخيصها في رسالة — لا أراني بحاجة إلى إرخاء عنان الكلام في هذا المقام ؛ وإنما يكفيني في هذه المقدمة أن ألم بالموضوع إلاماً وأجل القول فيه إجمالاً .

بلغت اليقظة الحديثة في الهند الإسلامية أشدها بمحركة الخلافة سنة ١٣٣٩ هجرية لكنها كانت حركة عاطفية غير

منبعشة عن فكرة ناضجة أو شعور عميق بمستقبل الإسلام، والمسلمين في هذه الديار . ومن ثم خذت هذه الحركة بعدما ألقى الأتراك نظام الخلافة وجنح الهناك إلى القومية الهندوكية المتطرفة فأصبحت سياسة المسلمين تتقلب يميناً وشمالاً ، تتجاذبها العوامل المتضاربة وتلعب بها الأهواء والشهوات ، إلى أن ظهرت فيهم بعد الثلاثين من السنة الميلادية (أى سنة ١٣٥٠ الهجرية - وما بعدها) حركتان متعارضتان وحزبان متناقضان : حركة تدعو إلى القومية الهندية المشتركة والانضمام إلى حوزة المؤتمر الوطنى الهندى ؛ وحركة تدعو إلى القومية المسلمة المتطرفة . وغير خاف على المسلم المستبصر ما فى الحركتين من خروج على الإسلام وخطر على مستقبله فى هذه الديار .

فالقومية الهندية المشتركة كانت تريد إدماج المسلمين فى حظيرة القومية الهندوكية ، تمهيداً للقضاء على الإسلام وشعائره . فى هذه الديار كما يعرفه القاصى والدانى . وقد ظهر من أمرها بعد الاستقلال مآثره ، والأمر قد سار بخبره الركبان . وكذلك القومية المسلمة المتطرفة المقاومة للقومية الهندية ، لم تكن أقل خطراً على

الإسلام من ضررتها ، لأن القائمين بها والداعين إليها ، وإن كانوا من أبناء المسلمين ، يتسمون بسمه الإسلام ، ويصيحون ويصرخون باسمه في المحافل والمنتديات ، ما كانوا يعرفون من الدين المبين إلا اسمه ، وكان جل همهم من هذه الحركة أن يحصلوا على مملكة على طراز الجمهورية التركية السكائية وأخوانها من الجمهوريات اللادينية في الغرب . وكان من نتائج خطتهم المعوجة وسياساتهم الشوهاء أن كثرت التبرج والاختلاط الممقوت في مجالسهم ومؤتمراتهم ، وعمت الرذائل ، وازداد المجتمع الإسلامي الهندي ميلاً إلى الخلاعة والفجور ، بله ما كان يجاهر بعض زعمائها من القضاء على آداب الإسلام وأخلاقه الزكية الطاهرة ، وما كانوا يُميدون من اعتزامهم تتبع معالم الغرب في الحياة الاجتماعية والسياسية .

ظهرت هاتان الحركتان المتعارضتان بعد سنة ١٣٥٠ هـ — واشتد الخلاف بينهما بعد بضع سنين . وقد بلغ الأمر بأنصار الحركتين أن جعلوا يتنازعون في كل نادي ومجلس ، وأخذت صحف الحزبين تمعن في التنازع بالألفاظ ، وبدأت الفوضى تنتشر

في المجتمع الإسلامي الهندي . وقد بلغ الأمر إلى هذا الحد المؤلم الحزن . وَحَمَلَةُ العلم ومن بيدهم زمام أمر المسلمين ، غافلون ، عاملون لمناصبهم وأغراضهم ، أو منحازون إلى أحد الحزبين ، غارقون في لُجَّة الفتن المظلمة . فالذي تنبه لهذا الخطر المحدق بمصير الإسلام في هذه الديار وأدرك بنضوج عقله ، وثقوب فكرته وما سيؤول إليه أمر المسلمين ، إن لم يُتدارك قبل استفحاله ، هو العالم المحقق والكاتب الأملعي الأستاذ أبو الأعلى المودودي^(١) . فشر ذيله للدفاع عن الدين المبين ، وتأهب للقيام بمهمة الدعوة إلى الإسلام ، إلى دين الله الكامل ، إلى نظام الحياة الشامل ؛ الكافل لسعادة البشر في الدنيا والآخرة .

وأول ما بدأ به مهمته في هذا الشأن ، هو إنشاء مجلة

(١) أصله من دهلي عاصمة البلاد الهندية منذ قديم الزمان . ولد سنة ١٩٠٣ م في بيت من بيوتات العلم والشرف ، فنقف بالثقافتين : القديمة والحديثة ، واشتغل بتحرير جريدة « مسلم » في دهلي ، وهو لم يتجاوز بعد السادسة عشرة من عمره ، رأس تحرير جريدة « الجمعية » الشهرية وهو ابن بضع وعشرين سنة ، صنف كتابه العلمي الضخم « الجهاد في الإسلام » ، وهو دون الخامسة والعشرين من عمره . وله مصنفات ومؤلفات في مختلف المواضيع الدينية والسياسية والاجتماعية ، سائرة مسير الشمس في هذه الديار . وقد ترجمت ، ولا تزال تترجم في مختلف اللغات أهـ

« ترجمان القرآن » الشهرية سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م تمهيداً
 لسبيل الدعوة وتوطئة لواجب إقامة الدين . وأهم ما عُني به فيما
 عُني به من إنعاش الفكرة الإسلامية وتوطيد دعائمها ، وإيضاح
 معالمها ، هو دحض الشبهات الباطلة ، وتفنيد الآراء الزائفة ،
 وتحرير العقول من ربة التفرنج والإلحاد ، وتنقية القلوب من
 أوساخ الجود والتقليد الأعمى ، فجعل يكتب المقالات تلو المقالات
 في الكشف عن عورات المبطلين ، وتبيين محاسن الإسلام ،
 وإيضاح تعاليمه السامية الشاملة التي خفيت معالمها ، واضمحلت
 آثارها في القرون المتأخرة ، قرون الجهل والجود والتقليد الأعمى .
 وما زال مثابراً على عمله ، واصلاً ليله بنهاره ، مواظباً على دعوته
 سنين عديدة ، حتى بدأت تثمر دعوته ، وأخذت قلوب الناشئة
 المثقفة تلتف حوله . وكان من أثر دعوته أن ثابَّت إلى رُشدِها
 نخبة ممتازة من الشباب المنخدعين بترَّهات الغرب وأفكاره
 الباطلة ، وآمنت بالإسلام من جديد ، وأبدت استعدادها للعمل
 على إحياء الإسلام وإعلاء كلمته في هذه الديار .

ولما أن اجتازت مجلة « ترجمان القرآن » المرحلة الأولى

(١٣٥١/١٩٣٢ — ١٣٥٦/١٩٣٧) من دعوتها ، شرع صاحبها الأملى في المرحلة الثانية من مهمته ؛ وذلك بإعلان حرب شعواء على المؤتمر الوطني الهندي والقومية الهندية المشتركة وما زال بالأمر حتى تزلزل بنيان الكفر وتضعفت أركانه ، ولم يبق في دائرته إلا شرذمة قليلة من أعضائها المسلمين . وذلك مما قوّى ساعد الرابطة المسلمة الداعية إلى القومية المسلمة المتطرفة . وبعد ما خرج الأستاذ المودودي من حملته الأولى ظافراً ، شرع في الحملة الثانية — وهي المرحلة الثالثة من الدعوة وأشدها خطراً — فبيّن للناس ما في القومية المسلمة والدعوة إليها من ضرر للإسلام ، وشرح لهم ما يضره دعاة هذه الحركة من عداة للإسلام وشعائره . والذي صرف أنظار الجمهور إليه في مقالاته ومحاضراته بوجه خاص هو التنبيه للفرق العظيم بين الإسلام والمسلمين ، وأن كل من وُلد من أبوين مسلمين وكتب مسلماً في سجل الإحصاء الرسمي ، لا يلزم أن يكون مؤمناً بالله ورسوله ، وأن الرابطة المسلمة التي حشدت في دائرتها كل غث وسمين من مطايا الاستعمار ، وأذناب الشيوعية ، وأتباع الكمالية ، من أبناء المسلمين ، ليست من الجماعة الإسلامية في شيء ، وإنما هي

جمعية للمسلمين الجغرافيين — حسب التعبير الشائع — توحدت كلمتها وانتظم عقدها لمحاربة القومية الهندوكية والمؤتمر الهندي الوطني ، فما أن ظهرت هذه المقالات ^(١) المتتابعة وسارت مسير الشمس في الأفطار الهندية حتى انقسم الذين يشعرون بواجباتهم ويتفكرون فيما يتعلق بمصير المسلمين من المسائل والمشاكل ، وانقسموا قسمين : قسم — وهم الأغلبية الساحقة من أنصار الرابطة المسلمة وأتباعها — استشاط غضباً وأخذ في النيل من كرامة الدعوة الإسلامية ، وبدأت صحفهم تسخر من دعوة الإسلام وفريضة إقامة الدين ؛ وقسم — وهم الصفوة المختارة من شباب هذه الديار — ازدادت إيماناً إلى إيمانها ، وقالت بملء أصواتها : « لابد من جماعة تقوم بدعوة الإسلام الخالص وتدعو الناس إلى إقامة نظام الحق والعدل في أرض الله » .

كل ذلك حدث في السنتين (١٣٥٨ — ١٣٥٩ هـ / ١٩٣٩ — ١٩٤٠ م) والمطالبة بتأسيس « جماعة إسلامية » جعلت تتقوى وتشتد ؛ والأسناد المودودي مكبٌ على عمله ،

(١) جمعت هذه المقالات وطبعت منها عشرات الألوف من النسخ .

يؤلف ويحرر ويזור الجامعات الكبرى والكليات الشهيرة ،
يلقى المحاضرات وينشر أفكاره بين الناشئة ، حتى صحت عزيمة
تلك الصفوة المختارة من شباب الأمة أن تؤسس الجماعة الإسلامية
فاجتمع خمسة وسبعون رجلاً ممن سبقوا إلى إجابة الدعوة
في « لاهور » واتفقت كلمتهم على أن ينتخبوا الأستاذ أبا الأعلى
المودودي أميراً للجماعة ، وجعلوا غايتها : « إقامة نظام الإسلام
الكامل على وجه الأرض وابتغاء وجه الله في الدار الآخرة » .
وكان ذلك في شعبان سنة ١٣٦١ هـ / أغسطس سنة ١٩٤١ م
وهذه عشر سنوات مضت على تأسيس الجماعة ، وهي
في طريقها ، بتوادة ووقار ، غير عابئة بما يعترض في سبيلها من
عقبات ومشاكل ، متوكلة على الله عز سبحانه ، مستعدة منه
التوفيق والتصر .

هذا آخر ما أردت تحريره في هذه المقدمة ، وسيجد
القارئ تفاصيل هذا الباب في مواضعها إن شاء الله تعالى ، وآخر
دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه العاجز الفقير إلى الله

مسعود النورى

عاشر شهر رمضان الأغر سنة ١٣٧٠ هـ

مقدمة الترجمة

هذه الرسالة محاضرة ألقاها الأستاذ السيد أبو الاعلى المودودي رئيس تحرير مجلة «ترجمان القرآن» بمدينة لاهور عاصمة (بنجاب) وذلك قبل اثني عشر عاما ، في أكتوبر ١٩٣٩ .

ألقيت هذه المحاضرة في زمان التبس فيه الأمر على الناشئة المثقفة ، وكادت تكون في حيرة من أمرها من جراء النزاع والصراع الشديد بين النظريتين ، نظرية القومية الهندية الجارفة التي كان يدعو إليها المؤتمر الوطني الهندي (Indian National Congress) ونظرية القومية المسلمة المتطرفة التي لا تفرق بين الإسلام الحقيقي والإسلام الجغرافي (إن صح التعبير) والتي كانت تقوم بالدعوة لها الرابطة المسلمة (Muslim League) ، فكان من تأثير هذه المحاضرة أن انكشف وجه الحق والصواب في شأن النظرية السياسية الإسلامية وعلم الجميع ما يدعوا إليه الإسلام من غاية سامية ، وتبين لهم الفرق بين نظرية الإسلام السياسية والنعرات الوطنية والقومية الزائفة ، وأصبحوا على حذر من دعاة النظريات الباطلة المعارضة للإسلام وتعاليمه .

أُلقيت هذه المحاضرة سنة ١٩٣٩ ، فطُبعت منها عشرات الألوف من النسخ باللغة الأردنية ، وترجمت إلى الإنكليزية وكثير من اللغات الهندية ، وظهرت الترجمة العربية قبل أربع سنين ، فتلقّقها الدوائر الإسلامية في بلاد العرب بالقبول مما شجّعنا على مواصلة العمل بتعريب هذه السلسلة من رسائل الدعوة التي أَلفها الأستاذ المودودي — أمير الجماعة الإسلامية — ونخبة من زملائه .

وها هي ذى الطبعة الثانية من هذه الرسائل تظهر في مصر بعد شيء من التنقيح والتصحيح ، وذلك باقتراح من إخوان صدق لنا في الدعوة ، اجتمعت قلوبنا على حب الإسلام ، جزاهم الله عن الإسلام ودعوته خير الجزاء ، ووقفنا وإياهم في العمل لإقامة الدين الكامل ، والنهوض بدعوته من جديد .

والمأمول أن تنال هذه الرسالة الخطوة لدى الناشئة الإسلامية ، وأن تتبعها الرسائل الأخرى من هذه السلسلة عن قريب ، إن شاء الله تعالى .

والله ولي التوفيق ، وهو قريب مجيب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

العاجز الفقير إلى الله

بلدة كرجا نواله (باكستان)

مسعود النوري

(رابع جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠)

معتمد دار العروبة للدعوة الإسلامية

تمهيد

« الإسلام نظام جمهوري » كلمة كثيراً ما نسمعها اليوم في الأندية السياسية والمحافل العلمية ، وهي لا تزال تعاد وتكرر منذ أواخر القرن الماضي ، ولكن الذين ينطقون بها ويلهجون بذكرها قلما يوجد فيهم من درس الإسلام دراسة علمية وأنعم النظر في تعاليمه واجتهد أن يتفطن إلى أوضاعه السياسية ، ووقف شيئاً من جهوده لمعرفة مقام الجمهورية في الإسلام ، والاطلاع على أوضاعها وأشكالها والفرق بينها وبين الجمهوريات الغربية السائدة في العالم اليوم .

ومن أجل ذلك ترى بعضهم ينظر إلى « نظام الجماعة في الإسلام » إلى عدة من أشكاله الظاهرة ، فيلصق به اسم الجمهورية . وأما الأكثرون ، فلمرض في نفوسهم وضعف في عقليتهم يودون أن يثبتوا في الإسلام كل ما يرونه قد راج في أسواق العالم

المتحضر ، وبالأخص في الأمم المتغلبة عليهم ، زاعمين أن ذلك خدمة جارية للدين القيم ، فكان الإسلام في أعينهم ولد يقيم ساقط لا يعمش إلا إذا جعل تحت رعاية رجل ذى جاهٍ ونفوذ ، أو هم يخافون أن لا عزة لهم من حيث كونهم مسلمين ، ولا ينالون من الشرف شيئاً إلا إذا أخرجوا للناس مبادئ وأصولاً من دينهم تثبت مبادئ النظم الاجتماعية النافقة في عصرهم ، ومن نتائج هذه العقلية المريضة الشائعة أنه لما راجت في الناس « الشيوعية » (Communism) رواجها ، قامت طائفة مناعشر المسلمين ينادون في الناس ، أن ليست الشيوعية إلا طبعة جديدة للإسلام ، وحينما سمعوا بالديكتاتورية أخذوا يصيحون بطاعة الأمير ، ويدعون بدعايتها معلنين أن نظام الإسلام الاجتماعي كله قائم على الديكتاتورية (Dictator ship) وجملة القول أن نظرية الإسلام السياسية أصبحت اليوم لغزاً من الألغاز ، وخليطاً من أجزاء متناقضة يُستخرج منها للناس مآراق لديهم ، ونفق في سوقهم .

فالحاجة ماسة الآن إلى أن ندقق في المسألة ونكشف
الغطاء عن وجه « نظرية الإسلام السياسية » رجاء أن ينقشع
بذلك هذا الظلام الفكرى الضارب أظفابه على المجتمع ، وتُلجَم
بذلك أفواه من أعلنوا سفهاً « أن الإسلام ما جاء للمجتمع
الإنسانى بنظام اجتماعى ولا سياسى أصلاً » فنخرج بذلك نوراً
للذين يتسكعون فى ظلمات العصر حائرين لا يهتدون ، وهم اليوم
فى أشد الحاجة إلى مثل هذا النور ، وإن كانوا لا يشعرون
بحاجتهم إليه .

أساس النظريات الإسلامية كلها

والذي ينبغي أن نعرفه قبل كل شيء ولا نفعل عنه أبداً ،
أن الإسلام ليس بمجموعة من الأفكار المبعثرة وطرق العمل
المتفرقة ، حشدت فيها من هنا وهناك أشياء لا صلة لبعضها
بالبعض الآخر ، بل هو نظام جامع يحكم أسس على مبادئ
حكيمة مثقفة ، وأركانه الكبيرة المهمة إلى الجزئيات الصغيرة
الدقيقة كلها ترتبط بتلك المبادئ ارتباطاً منطقياً ، وكل ما وضع
فيه للحياة الإنسانية لمختلف شعبها من النظم ، إنما قد أخذ روحه
واقتبس جوهره من تلك الأصول الأولية ، ومن هذه المبادئ
والأصول تخرج الحياة الإسلامية بمختلف فروعها ، كما ترون في
الشجرة أن البذر يكوّن الجذر ، والجذر يكوّن الجذع ، والجذع
يكوّن الغصن ، والغصون تكوّن الأوراق ، حتى تكون
الشجرة باسقة ممتدة ، ولكن مع امتدادها وبسوقها تظل كل

ورقة منها ترتبط بجذرها ارتباطاً وثيقاً ، فكذلك إن أردت
معرفة أية شعبة من شعب الحياة الإسلامية معرفة صحيحة
صادقة ، فلا محيد لك من أن ترجع إلى أصلها ، فإنك لن
تتمكن من الدخول إليها من غير ذلك الباب ، ولن تعرف
حقيقتها وماهية أمرها إلا بالإمعان في أصولها وقواعدها .

المهمة التي قام بها الأنبياء عليهم السلام

يعلم كل منا ولو علماً إجمالياً أن الإسلام إنما هو المهمة التي قام بها الرسل عليهم السلام ، ولم تكن رسالة خاصة بالنبي الأُمِّي العربي صلى الله عليه وسلم ، وإنما كانت مهمة جميع الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه منذ أقدم عصور التاريخ الإنساني ، كلهم يدعون الناس إلى الإسلام ، إلى توحيد الله عز وجل وإلى عبادته وحده ، هذا ما يعرفه الناس إجمالياً ، كما قلنا آنفاً .

ولكن يجمل بنا في هذا المقام أن نكشف قناع الإجمال عن وجه المسألة ونسبر غورها ، حتى نعرف ما كان يريدُه الأنبياء دعاة الإسلام بتوحيد الإله ، وما معنى عبادة الواحد الأحد وحده ؟ وماذا كان وراء قولهم : « مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ » ؟ وما بال من مضوا من الأُمم كلما جاءهم رسول من عند الله يدعوهم إلى عبادة الله الواحد واجتناب الطاغوت ، انقضوا عليه ، وكادوا

يكونون عليه لبدا ؟ فإن كانوا قد أرادوا بقولهم لمن عاصرهم :
« اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ » أن يسجدوا لله الواحد
في معابدهم ، وأن يكونوا أحرارا في شئونهم وأمور مملكتهم
إذا خرجوا من المعابد ، يفعلون ما يشاءون ويطيعون من يريدون
من الملوك والماليك ، فإن كانوا قد أرادوا ذلك — كما يظن
الناس اليوم . — فما بال الحكومات وولاتها ؟ أترأى قد أصيبوا
في عقولهم أن يمنعوا رعاياهم الوفية المطيعة عن إتيان هذه الفروض
والمناسك ، ويتدخلوا في أداء مثل هاتيك الشعائر التي لا تضر
بمصالحهم ؟ فعلينا الآن أن نستكشف السبب الحقيقي الذي قام
لأجله النزاع بين رسل الله الأكرمين والأهم الطاغية في أمر الله
تعالى شأنه وتباركت أسماؤه ، فإن الحقيقة لا تنجلي للناس بمظهرها
الباطم إلا بعد إماطة اللثام عن وجه هذه المسألة .

إن القرآن قد بين في مواضع كثيرة أن الكفار والمشركين
الذين كانوا في نزاع مستمر مع الأنبياء لم يكونوا من المنكرين
لوجود الله ، بل كانوا يعترفون له بخلق السماوات والأرض

وبخلق أنفسهم ، وبأنه هو الذى يدبر الأمور ، وهو الذى ينزل
الغيث ويرسل الرياح بُشْرَىٰ بين يدي رحمته ، وييده الشمس
والقمر وييده السماوات والأرض ومن فيهن كما قال الله عز وجل :
« قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، سَيَقُولُونَ
لِلَّهِ ، قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ، قُلْ مَنْ
بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ . »

(المؤمنون : الآيات ٨٤—٨٩)

وقال تعالى : « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ . وَلَئِنْ
سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ
مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ » (العنكبوت : الآيات ٦١—٦٣)

وقال تعالى : « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ
فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ » (الزخرف آية ٨٦)

يتبين من هذه الآيات أنه لم يكن بينهم خلاف في وجود الله وفي أنه خلق الخلق وييده ملكوت كل شيء ، فمن الظاهر أن الرسل ما جاءوهم ليدعوهم إلى تلك العقيدة التي كانوا يعتقدونها ويعترفون بها ، فلم كانت بعثتهم ؟ وعلى أى شيء قام النزاع بين رسل الله وبين من أرسلوا إليهم من الأمم ؟

يوضح لنا القرآن أن الرسل كانوا يقولون في دعوتهم لهم :
إن الذى خلق السماء والأرض وخلق أنفسكم إنما هو ربكم وإلهمكم فلا تجعلوا إلهاً ورباً من دونه ، ولا تجعلوا له أنداداً ،
ولكنهم لم يكونوا مستعدين لقبوله .

فقل لى بالله ما الذى منعه أن يتقبلوه بقبول حسن وأى ضرر كان لهم فيه ؟ وما معنى الإله وما هو الرب ؟ وما معنى الذى جعل الأنبياء مُصْرِينَ على أن الله هو الرب والإله ؟ وما الذى جعل من أرسلوا إليهم يناوئونهم بمجرد ما سمعوا بدعوتهم ؟.

الإله :

يعلم كل منا أن الإله معناه (المعبود) ، والمعبود أهل العبادة ، والعبادة ليست بمعنى الشعائر والمناسك فحسب ، بل العبد الذى يعيش عيشة العبودية فحياته كلها عبادة . فالقيام بالخدمة والركوع والسجود والجد والسعى فى إطاعته والقيام بكل ما يأمر وينهى ؛ والتذلل لقوته ، والانقياد لجبروته ، والإطاعة فى كل ما سنّ له من قانون ، والمناسبة لكل ما يكون مخالفاً لأمره ، وتضحية النفس ، وبذل المهج فى سبيل رضاه .

هذه كلها عبادة وهذا المعنى الحقيقى للعبادة ، والمعبود فى الحقيقة هو الذى يعبد المرء مثل هذه العبادة .

الرب :

أما الرب فهو بمعنى المربى . ومن المعلوم أن المربى يُطاع أمره ، فلأجل هذه المناسبة جاء بمعنى المالك والسيد المطاع كما يقال « رب المال » و « رب الدار » . فكل ما جعله المرء

رازقاً مريباً ، يرتجى منه العطف ويأمل منه الأمن والرقى والجاه
ويخشى إن سخطه أن يجلب عليه الضرر وينقص الحياة ويحسبه
مالكاً وسيداً يطيعه فيما يأمره به ولا يعصى له أمراً فهو ربه ،
أو بعد ما عرفت من معنى الكلمتين واستأنست بمغزاها ، تحسب
أنه يوجد شيء في ما خلق الله من السموات والأرض ، يقوم
في وجه الإنسان ويقول له . . . « إني إلهك وربك فاعبدني » ؟
أيدعى ذلك الحجرُ أو الشجرُ أو الحيوانُ أو الشمسُ أو القمرُ
أو غيرها من الأجرام النيرات في السماء ؟ لا ، لا ، والله لا يقوم
في وجه الإنسان شيء ، من هذه يدعى الألوهية والربوبية ، بل
إنما الإنسان وحده الذي يبعثه حب السلطة ، وهوى الأثرة ،
على أن يجعل نفسه إلهاً لغيره من أبناء نوعه يستعبدهم وينفذ
فيهم أمره ، ويقهرهم على الانقياد والطاعة ، ويجعلهم آلة لتحقيق
هواه ، فلم يعرف الإنسان شيئاً ألد وأحلى من تأليه نفسه ، فكل
من نال شيئاً من المال ، أو القوة ، أو رُزق شيئاً من الدهاء
والنبوغ ، تُسَوِّلُ له نفسه أن يستكبر ويتعدى حدوده الفطرية

ويرقى عرش الألوهية ، ويستعبد كل من حوله من الناس
المستضعفين والفقراء الذين لا يجدون للقيام في وجهه سبيلا .

فالذين يريدون أن يتسمنوا ذروة الألوهية ويتطلعون إليها
على نوعين ، ويسلكان في هذا الأمر طريقتين مختلفتين . فالنوع
الأول هو الذى عنده جرأة شديدة ، أو تهياً له من الوسائل
ما يراه كافياً لتحقيق هواه الكاذب من غير استحياء . ولنضرب
لك فرعون مثلاً ، الذى اغترّ بما قد آتاه الله من جلال الملك
وأبهة السلطان ، وبما كان عنده من القوة وعتاد الحرب ،
فنادى فى المصريين :

« أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى » ، « وَمَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ
إِلَهِ غَيْرِي » وقد بعث الله نبيه موسى إليه وإلى قومه ، فدعاه
إلى الصراط المستقيم وقال له :

« هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى
فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى » ، وطالبه بأن يُخْلِ سبيل بنى إسرائيل
ويطلق سراحهم ، فأجابه فرعون بقوله :

« لَنْ يَتَّخِذَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ »
 وكذلك الملك الذي حَاجَّ سيدنا إبراهيم عليه الصلاة
 والسلام والذي ذكره الله في كتابه ، فقال عز من قائل :
 « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ
 اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ
 أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ
 مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ .
 وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » . (البقرة : ٢٥٨)

فما الذي جعله مبهوتاً ؟ ! ولماذا أخذته الحيرة والدهشة
 بغتة ؟ لأنه لم يكن منكرًا لله ، بل كان يعتقد أن الله هو سيد
 الكون ويده مقاليد السماوات والأرض وهو الذي بأمره
 تطلع الشمس وتغرب ، فالنزاع لم يكن في أنه رب السماوات
 والأرض ومن بيده ملكوت كل شيء ، بل كان جداله في
 من هو مالك رقاب الناس عامة والذين منهم في بابل خاصة ؟
 فلم يكن من دعواه أنه هو « الله » بل كان يقول إني رب هذه

البلاد وأهلها ، ولم يكن يقول بذلك إلا لأنه كان مالكا
لرقاب الناس آخذاً زمام الملك بيده ، يتصرف فيه كيف
يشاء ، ويسوق الشعب بعضا سلطانه حسب ما تملى عليه
أهواؤه ، وكان يجحد في نفسه قدرة على أن يضرب عنق من
يشاء ويطلق سراح من يشاء من رعيته ، وقد كان يشعر بأن
قوله حكم لا مَرَدَّ له وأمره نافذ في البلاد لا يعترض دونه معترض ،
ولا يعترض له أحد باستنكار . ولأجل ذلك طلب من إبراهيم
الخليل أن يعترف له بالربوبية وينقاد لأمره ويعبده كما يعبد
الناس ولكن لما قال له إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه :
« إني لا أعرف لى رباً إلا رب السموات والأرض وهو رب
العالمين ، ولا أعبد إلا إياه ، وهو الذى تعبده الشمس فى
مطلعها ومغربها » بهت وتحير ، وما تحير إلا لأنه لم يدر
كيف يساير مثل هذا الرجل فى الحجة ويقارعه فى الكلام .
فهذه الألوهية التى ادعاها فرعون ونمرود ، ليست بقاصرة
عليهما ، بل نجد الملوكة فى كل أرض وفى كل زمان ينتحلون

تلك الألوهية ويدعونها ، فهذه بلاد الفرس كانت تخاطب ملوكها
بلفظ « خُدا » و « خُداوند » ، وكان الناس يقومون لهم
بجميع ما يكون من آداب العبودية ، والحال أنه لم يكن فيهم
من يحسب الملك « خُداي خُدايكان » يعنى الله ، ولا كان
الملوك أنفسهم يدعون ذلك ، وكذلك ترى البيوتات الحاكمة
فى الهند كانت تنتمى بنسبها إلى الآلهة « ديوتا » — فهناك
أسرتان تعرفان حتى اليوم (سورج بنسى وچندر بنسى) أى
ذرية الشمس وذرية القمر . وكان أهل الهند يخاطبون ملوكهم
بكلمة « أن داتا » أى الرازق ، ويسجدون لهم ، والحال أنهم
ما كانوا يرون من ملوكهم أنهم هم « بر ميشور » أى الملك ،
وكذلك الملوك أنفسهم لم يكونوا يدعون ذلك ، وما زال الناس
فى العصور الغابرة سائرين على هذه الخطأ ، وكذلك حالهم اليوم
فى معظم أقطار العالم ، فإنه لا يزال الملوك يخاطبون فى بعض
البلاد بكلمات تماثل كلمتى الاله والرب فى المعنى . وأما البلاد
التي لانستعمل فيها الألفاظ الصريحة بهذا المعنى . فهناك تجدد

هذه الروح سارية في النفوس ، فإنه ليس من الضروري لهذا النوع من دعوى الألوهية أن ينادى الرجل في الناس بأنى : « إلهكم وربكم » لا ، بل كل من يملك على الناس قلوبهم وأجسامهم ويتحكم في دمائهم وأموالهم بما يشاء ويسوقهم بعضا سلطانة المطلق والسيادة المستبدة التي سلطها على الناس فرعون ونمرود لعهدهما ، فهو يدعى الألوهية والربوبية حقيقة ومعنى ، وإن لم يتفوه بألفاظها ، والذين هم يطيعونه وينقادون لأمثاله يسمون لهم بالألوهية والربوبية وإن لم تجر هذه الكلمات على ألسنتهم ، وبالجملة إن نوعاً من البشر يدعى الألوهية والربوبية مباشرة من غير استخفاء .

وهناك نوع آخر لم يتهيأ له من القوة والوسائل المادية مايؤهله للقيام بهذه الدعوى الخطيرة وإخضاع الناس لإرادته ، فهم يتسلحون بأسلحة من الشعوذة والدجل يسحرون بها قلوب الناس وألبابهم فيعمدون إلى روح أو آلهة (ديوتا) أو وثن أو قبر أو كوكب أو شجرة فيجعلونها إلهاً وينادون في الناس

أن هذا إلهكم وله قدرة أن ينفعكم أو يضركم وهو يقضى حاجاتكم وهو وليكم وناصرکم ولئن لم ترضوه لياخذنكم بأنواع من القحط والمرض والآلام ، وإن أرضيتموه وطلبتم منه العفو فهو ينصرکم ويأخذ بأيديكم . ولكن لا يعلم طرق إرضائه وجلب عنايته أحد سوانا ، فاجعلونا وسيلة للوصول إليه وعظمونا وأرضونا واجعلوا في أيدينا كل ما تملكونه من النفس والمال والعرض ، فكثير من حقى الناس يقعون في شركهم الذى ينصبونه لهم ، وبمثل هذه الصورة وبواسطة هاتيك الآلهة الكاذبة الباطلة تقوم دعائم ألوهية هؤلاء المشعوذين من سدنة المعابد وخدمهم ، ويتحكمون في مقادير الناس بما يشاءون وتشاء شهواتهم الدنيئة .

ومن هذا النوع الأخير رجال يحترفون لهذا الغرض الكهانة والتنجيم واستخراج القال وكتابة التعاويذ والرقى . ومنهم من يعترفون بأنهم عباد الله مثل سائر الناس ، ولكنهم يرون أنه لا يمكن الوصول إليه ، تباركت أسماؤه ، مباشرة من دون وساطة

وأنتهم هم الذين يُتقرب بهم إلى الله وأن كل ما يؤدي الناس من آداب العبودية ونسكها ، إنما يؤدي بواسطتهم ، وكذلك طقوسهم وشعائرهم التي يقومون بها في حياتهم ، وكلها بأيديهم وبوسيلتهم . ومنهم من يستبدون بكتاب الله ويعدون أنفسهم حملة له من دون غيرهم ، فيحرمون العامة علمه وينفذون في الناس أحكامهم ، يحلون ما يشاءون ويحرمون ما يريدون زاعمين أن الله ينطق بألسنتهم وبمثل هذه الحيلة يقهرون الناس على أن يتبعوهم ويتخذوهم أرباباً من دون الله ، وهذا هو الأصل للبرهمية والبابوية السائدة في مختلف أنحاء المعمورة إلى يومنا هذا بصورة مختلفة وبأسماء متنوعة ، وهي التي اتخذت منها بعض الشعوب والقبائل والبيوتات آلة وحيدة لسيادتهم وسلطتهم على الناس . وإذا نظرت إلى المجتمع الإنساني من هذه الوجهة ، استيقنت نفسك أن منبع الشرور والفساد الحقيقي إنما هو « ألوهية الناس على الناس » ، إما مباشرة وإما بواسطة ، وهذه هي النظرية المشؤمة التي تولد الشر منها أول أمره وهي التي لا تزال تنفجر منها عيون الشر اليوم في كل مكان .

أما الله فإنه عليم بأسرار الفطرة البشرية ، فلا تخفى عليه خافية من شرور النفوس وأهوائها . ولكن التجارب التاريخية طوال القرون الماضية المتطاولة ، قد جعلتنا أيضاً على بينة من الأمر وبينت لنا تبييناً أن الإنسان لا يمكنه أن يعيش من غير أن يتخذ لنفسه إلهاً ورباً فلا يتخلص البشر من الإله والرب ، وإن لم يرض بالله رباً وإلهاً فحينذاك يتسلط عليه جنود مجندة من الأرباب والآلهة الباطلة .

وإن كنت في ريب مما قلت آنفاً فانظر إلى الحزب الشيوعي في روسيا ، أليس الذين بيدهم زمام مكتبه السياسي (Politlcac Buren) أرباباً من دون الله آلهة لأهل البلاد ؟ وأليس « ستالين » كبيرهم وبطلهم ، ربهم الأعلى ؟ وهل في بلاد الروس من قرية أو مزرعة (Fqrm) تخلو من صورة إله الروس وطاغيتهم هذا ؟ وهل أذاك حديث القوم كيف افتتحوا النظام الشيوعي في القطعة التي استولوا عليها في بولونيا ؟ لقد بعثوا ألوفاً من النسخ لصورة « ستالين » فبثت في كل قرية ليعرفوا

أولا وقبل كل شيء ، إلههم العظيم وربهم الكبير ثم يدخلون في الدين البلشفي ، فعلام نال مثل هذه الأهمية رجل مثلنا ، خلق من ذكر وأنتي ؟ ولأى سبب يسلط رجل وإن كان يمثل جماعة (Community) . على رؤوس ملايين من البشر وأرواحهم بحيث تجري عظمته وكبرياؤه في عروقهم وشرابهم ؟ أليس هذا من أساليب الاستبداد الشخصي ؟ ومن هناك نعرف كيف يصير البشر إلهاً لبشر مثله ، ويمثل هذه الطرق تتولد الفرعونية والفرودية والمزارية والقيصرية وتتأصل جذورها في كل زمان .

وهكذا الحال في « إيطاليا » ، نجد المجلس الفاشي الكبير مجمع الآلهة وناديتهم ، و « موسوليني » إلههم الأكبر . وكذلك ترى في « ألمانيا » زعماء حزب النازي به كأنهم آلهة من دون الله ، وعلى رأسهم الإله الأكبر « هتلر » ولا تحسبن « انكلترا » الجمهورية^(١) خلوا من أولئك الآلهة الباطلة على تشدقها بالديمقراطية (Democracy) أولا ترى نظار مصرفهم الكبير

(١) يقصد الديمقراطية

(Bank of England) وعدداً من الطبقة العليا من أصحاب الثراء وأرباب السياسة كيف أخضعوا رقاب الجمهور لمطامعهم الأشعبية؟ وهكذا شأن أمريكا فإن المالين منهم — وربما لا يتجاوزون عدد الأنامل — قد استبدوا بموارد الثراء بأسرها واحتكموا في نفوس الأمة وأموالها ودمائها . فأصبحوا بفضل ثروتهم آلهة للأمة الأمريكية .

وبالجملة إنك حينما وجهت نظرك وجدت أن أمة اتخذت نفسها إلهاً لقوم آخرين أو طبقة سلطت ألوهيتها على طبقات أخرى ، أو حزباً سياسياً استولى على مناصب الألوهية والربوبية واستبد بها ، أو تجدد مسيطراً (ديكتاتوراً) ينادى الملاً «مأملت لكم من إله غبرى» فلم يبق البشر في أى بقعة من الأرض من غير إله !!

ثم انظر ماذا يكون من ثمرات ألوهية الناس على الناس وما يترتب عليها من عواقب وشرور . فمثلها في ذلك كمثل سفينة ينادى به رياسة الشرطة أو رجل أمى سىء الخلق يتبوا كرسي

رئيس الوزراء . فإن نشوة الألوهية بطبيعتها تخرج المرء من حدوده ، وإن لم يخرج وبقي معتدلاً في فكره ، فهل للبشر ذلك العلم المحيط وذلك العدل والتعفف والتزهد في مطامع الدنيا والتجرد عن الشهوات التي يحتاج إليها في الألوهية ؟ ومن ثم نرى أن كل مكان قامت فيه ألوهية الناس على الناس ، قد فشا فيه الظلم والجور والاستثمار الممقوت والتكبر في أرض الله بغير الحق ، وحرمت الروح البشرية حرمتها الفطرية ، وغلبت العقول البشرية على أمرها وغلبت طبائعها الفطرية وخصائصها الفكرية بأنواع من الأغلال ، ومنعت الشخصية الإنسانية كمال نشوئها وارتقاؤها فما أصدق ما قال سيد البشر سيدنا ومولانا النبي العربي صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل إني خلقت عبادي حنفاء؟ فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم من دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم » (١) .

فقد تبين لك أن ألوهية الناس على الناس إنما هي أصل

(١) صحيح مسلم . مشكاة المصابيح . باب الانذار والتحذير .

كل المصائب والدمار ، وهى أصل جميع ما منى به البشر اليوم
من البؤس والشقاء ، وهذا هو الداء الذى أفسد أخلاق البشر
وروحانيتهم وقواهم العلمية والفكرية ، وأكل مدينة الناس
وحياتهم الاجتماعية وسياساتهم ومعايشهم ، وبلغت أذى إن
هذا الداء قد أكل إنسانية البشر كما تأكل المرء حتى الدق .
أكل الإنسانية منذ أقدم العصور فى التاريخ الإنسانى ولا يزال
يأكلها إلى عصرنا هذا . فليس لهذا الداء من دواء إلا أن يقوم
الإنسان فيكفر بالطواغيت جميعاً ، ويؤمن بالله العزيز الذى لا إله
إلا هو ، ويخصه — تقدست أسمائه — بالألوهية والربوبية ، فهذا
هو الطريق الوحيد لفجأة البشر من براثن ذئاب الإنسانية
وقطاع سبيل البشرية . فإنه لن يتخلص من كثير من أولئك
الطواغيت والآلهة الباطلة إلا بالإيمان بالله العزيز الحميد ، وإن
ادعى الإلحاد وتشدق بالدهرية .

مهمة الأنبياء الحقيقية :

فهذا هو الصلاح الحقيقي الذي ظهر في المجتمع الإنساني على أيدي رُسُل الله الكرام ، وهذه هي النظرية الصالحة التي بعث الأنبياء بها إلى الناس ، فإنهم قد أرسلوا لتحطيم سلاسل العبودية البشرية ، عبودية الناس للناس ، وبعثوا ليخلصوهم من الظلم الغشوم ؛ من عبودية الآلهة الكاذبة والاستثمار الجائر .

قد بعثوا ليخففوا من غلواء من جاوزوا حدود البشرية ويفتأوا جميعهم حتى يعيشوا في الحدود التي قدرها الله لهم ، يأخذوا بيد الذين ظلمهم البشر أمثالهم وأرهقوهم بصنوف من العذاب ، فيرفعوا مستواهم ثم يجمعوهم كلهم في كلمة واحدة وتحت نظام للحياة الإنسانية عادل ، ولا يكون فيه أحد عبداً لأحد ، بل يكونون جميعاً عباداً لله وحده ، فجميع رسل الله إلى الخلق من أبي البشر سيدنا آدم عليه السلام إلى سيدهم وخاتمهم مولانا النبي الأمي صلى الله عليه وسلم ، كانت رسالتهم إلى الخلق واحدة ؛ مقالة وجيزة ، كما جاء بلسان الوحي : « يَا قَوْمِ اعْبُدُوا

اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ » وهذه هي المقالة التي قالها نوح
وجاء بها هود ودعا إليها صالح وشعيب^(١) صلوات الله عليهم
أجمعين ، وبذلك نادى إلى دعائهم سيدنا ومولانا الرسول النبي
الأمي صلوات الله عليه وسلامه كما ورد في التنزيل :

« إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ
رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ » .
(سورة ص : ٦٥ ، ٦٦)

« إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ .. أَلَا لَهُ الْخَلْقُ
وَالْأَمْرُ » . (الأعراف : ٥٤)

« ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ
فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ » (الأنعام : ١٠٢)
« وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ » .
(البينة : ٥)

(١) راجع : القرآن الكريم سورة هود : الآيات ٢٦ ، ٥٠ ، ٦١ ، ٨٤

« تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ
وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ
اللَّهِ » (آل عمران : ٦٤) .

فهذا هو النداء الرباني الذي حرر العقول والأفكار وكل
ما أوتى البشر من القوى العقلية والمادية من أغلال العبودية
التي كانوا يرسفون فيها ووضع عنهم إصرهم الذي كانوا يرزحون
تحتَه .

فهذا الحق كان صكاً (Charter) ^(١) للحرية البشرية
الحقيقية ، وبذلك أثنى الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم
في كتابه :

« وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ » .
(الأعراف : ١٥٧)

(١) اقترح علينا هذه الترجمة لكلمة (Charter) الدكتور مأمون
الحوى . راجع مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (٣٤ : ٤) .

النظرية السياسية في الإسلام ومبدؤها الأساسي

هذه العقيدة هي روح ذلك النظام الذي أسس بنيانه الأنبياء عليهم السلام ومناطق أمره وقطبه الذي تدور رحاه حوله وهذا هو الأساس الذي ارتكزت عليه دعامة النظرية السياسية في الإسلام أن تنزع جميع سلطات (Powers) الأمر والتشريع من أيدي البشر منفردين ومجتمعين ولا يؤذن لأحد منهم أن ينفذ أمره في بشر مثله فيطيعوه ، أو ليسن قانوناً لهم فينقادوا له ويتبعوه فإن ذلك أمر يختص بالله وحده لا يشاركه فيه أحد غيره ، كما قال هو في كتابه : —

« إِنِ الْحُكْمُ لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ . ذَلِكَ
الَّذِينَ الْقِيَمُ »
(يوسف : ٤٠)
« يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ . قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ
كُلَّهُ لِلَّهِ »
(آل عمران : ١٥٤)

« وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا خَلَالٌ

وَهَذَا حَرَامٌ » (النحل : ١٦٦)

« وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ »

(المائدة : ٤٥)

فهذه الآيات تصرح أن الحاكمية (Sovereignty) لله وحده
وبيده التشريع وليس لأحد — وإن كان نبياً — أن يأمر
وينهى من غير أن يكون له سلطان من الله . والنبي أيضاً لا يتبع
إلا ما يوحى إليه :

« إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ » .

وما وجب على الناس طاعة النبي إلا لأنه لا يأتيهم
إلا بالأحكام الإلهية .

قال الله عز وجل :

« وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ » .

(النساء : ٦٤)

« أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ »

(الأنعام : ٨٩)

« مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ
وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ
كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ
تَدْرُسُونَ » . (آل عمران : ٧٩)

فالخصائص الأولية للدولة (state) الإسلامية ، كما يظهر
من الآيات التي ذكرناها ، ثلاث :

١ — ليس لفرد أو أسرة أو طبقة أو حزب أو لسائر القاطنين
في الدولة نصيب من الحاكمية فإن الحاكم الحقيقي هو الله والسلطة
الحقيقية مختصة لذاته تعالى وحده والذين من دونه في هذه
المعمورة إنما هم رعايا في سلطانه العظيم .

٢ — ليس لأحد من دون الله شيء من أمر التشريع
والمسلمون جميعاً ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً لا يستطيعون
أن يشرعوا قانوناً ولا يقدرّون أن يغيروا شيئاً مما شرع الله لهم .

٣ — أن الدولة الإسلامية لا يؤسس بنيانها إلا على ذلك
القانون والشرع الذي جاء به النبي من عند ربه مهما تغيرت

الظروف والأحوال والحكومات (Gouvernement) التي بيدها
زمام هذه الدولة (state) لا تستحق طاعة الناس إلا من حيث
أنها تحكم بما أنزل الله وتنفذ أمره تعالى في خلقه .

وضعية الدولة الإسلامية :

كل من نظر إلى هذه الخصائص التي ذكرناها آنفاً علم
لأول وهلة أنها ليست ديمقراطية (Democracy) فإن الديمقراطية
عبارة عن منهاج للحكم الذي تسكون فيه السلطة للشعب جميعاً
فلا تغير فيه القوانين ولا تبدل إلا برأي الجمهور ولا تسن إلا حسب
ما توحى إليهم عقولهم . فلا يتغير فيه من القانون إلا ما ارتضته
أنفسهم وكل ما لم تسوغه عقولهم يضرب به عرض الحائط
ويخرج من الدستور إخراجاً .

هذه خصائص الجمهورية وأنت ترى أنها ليست من الإسلام
في شيء . فلا يصح إطلاق كلمة الجمهورية أو الديمقراطية على
نظام الدولة الإسلامية ، بل أصدق منها تعبيراً كلمة الحكومة
الإلهية أو الثيقراطية (Theo - cracy) ولكن الثيقراطية

الأوربية تختلف عنها الحكومة الإلهية (التيقراطية الإسلامية) اختلافًا كليًا فإن أوروبا لم تعرف منها إلا التي تقوم فيها طبقة من السدنة (Priest Class) مخصوصة ، يشرعون للناس قانونًا من عند أنفسهم^(١) حسب ما شاءت أهواؤهم وأغراضهم ، ويسلطون ألوهيتهم على عامة أهل البلاد متسترين وراء القانون الإلهي ، فما أجدر مثل هذه الحكومة أن تسمى بالحكومة الشيطانية منها بالحكومة الإلهية .

وأما التيقراطية التي جاء بها الإسلام فلا تستبد بأمرها طبقة من السدنة أو المشايخ ، بل هي التي تكون في أيدي المسلمين عامة ، وهم الذين يتولون أمرها والقيام بشئونها وفق ما ورد به كتاب الله وسنة رسوله . ولئن سمحتم لي بابتداع مصطلح جديد لآثرت كلمة « التيقراطية الجمهورية » (Theo — democracy)

(١) لم يكن عند البابوات الفاسوسة المسيحيين شيء من الشريعة إلا مواعظ خلقية مأثورة عن المسيح عليه السلام ولأجل ذلك كانوا يشرعون القوانين حسب ما تقتضيه شهوات أنفسهم ثم ينفذونها في البلاد قائلين إنها من عند الله ، كما ورد في التنزيل « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله » (البقرة : ٧٩)

أو « الحكومة الإلهية الجمهورية » لهذا الطراز من نظم الحكم لأنه قد دخل فيها للمسلمين حاكمية شعبية مقيدة .

(Limited Popular Sovereignty)

وذلك تحت سلطة الله القاهرة (Paramountcy) وحكمه الذى لا يغلب ، ولا تتألف السلطة التنفيذية (Executive) إلا بأراء المسلمين ، ويبدىهم يكون عزلها من منصبها ، وكذلك جميع الشئون التى لا يوجد عنها فى الشريعة حكم صريح لا يقطع فيها بشىء إلا بإجماع المسلمين .

وكما مست الحاجة إلى إيضاح قانون أو شرح نص من نصوص الشرع ، لا يقوم ببيان طبعه أو أسرة مخصوصة فحسب ، بل يتولى شرحه وبيان كل من بلغ درجة الاجتهاد من عامة المسلمين .

فمن هذه الوجهة يعد الحكم الإسلامى ديمقراطياً Democracy إلا أنه — كما تقدم ذكره من قبل — إذا وجد نص من نصوص الكتاب والسنة فى شأن من الشئون فليس لأحد من

أمراء المسلمين أو مجتهد أو عالم من علمائهم ولا لمجلس تشريعي (Legislature) لهم ، بل ولا لجميع المسلمين في العالم أن يصلحوا أو يغيروا منه كلمة واحدة ومن هذه الجهة يصح عليها إطلاق كلمة « الديمقراطية » .

دفع شبهة :

ولرجل أن يقف في هذا المقام ويقول إن الإسلام قد قيد الجمهورية بأنواع من القيود والحدود ، فعناه أن الإسلام قد سلب الإنسان حرية الرأي والفكر ، والحال أنكم تزعمون — كما ادعيتم فيما تقدم — أن ألوهية الله الواحد تخول الناس حرية القول والأفكار والقوى البشرية جمعاء . فالجواب : إن الله لم يخص أمر التشريع لذاته ليسلب الناس حريتهم الفطرية ، بل خصه لنفسه ضمناً به وصوناً له من اعتداء المعتدين ، ولئلا يضل الناس فيسلكوا طرائق قسداً ويقعوا في المهالك .

وهذه الجمهورية الغربية المموهة التي يتشدقون بها . وبأن فيها حاكمية أو سيادة شعبية (Popular Sovereignty) ، إذا سبرت غورها وأنعمت النظر في دوائها علمت أن الذين تتكون منهم لا يسن كلهم القوانين ، ولا ينفذونها جميعاً ، بل يضطرون إلى تفويض سلطانهم إلى رجال يختارونهم من بينهم ليشرعوا قوانين ينفذونها ، ولأجل هذا الغرض يضعون نظاماً للانتخاب خاصاً ، ولا ينجح فيه إلا من يفر الناس ويستولى على عقولهم وألبابهم بماله وعلمه ودهائه ورعايته الكاذبة ، ثم ينفذون ذلك القانون الجائر على العامة بتلك القوة نفسها التي خولتهم إياها العامة ، ثم يصبح هؤلاء الناجحون بأصوات العامة آلهة لهم ، يشرعون ما يشاءون من القوانين لا لمصالح الجمهور بل لمنافعهم الشخصية ومصالح طبقاتهم المخصوصة التي ينتمون إليها ، فهذا هو الداء العضال الذي أصيبت به أمريكا وإنجلترا وسائر البلاد التي تدعى اليوم بأنها جنة للجمهورية وماوى لها .

وبقطع النظر عن هاتيك المفاصد ، إن سلمنا أن القوانين
تشرع في تلك البلاد عن رضى العامة ، فقد أثبتت لنا التجارب
أن العامة لا يستطيعون أن يعرفوا مصالحهم ، فإن البشر قد
خلقهم الله على ضعف فطرى كامن في نفوسهم ، فيرون
في أكثر أمور الحياة بعض جانب من الحقيقة ولا يرون
بعضه الآخر ، ولا يكون حكمهم (Judgement) مرتكزاً على
نقطة العدل عموماً ، وهم في الغالب يكونون مغلوبين على أمرهم
من العواطف والميول فيرفضونها لأجل غلبة العواطف والشهوات
على أنفسهم ، وعندى لذلك أمثلة كثيرة ولكن حذراً من
إطالة الكلام ، أقصر على مثال واحد وهو « قانون منع
الخمر الأمريكى » .

(Prohibition Law) فإن الأمة الأمريكية قد تحقق
لها من الوجهتين العقلية والعلمية أن الخمر ضارة بالصحة ، ومفسدة
للقوى الفكرية ، وهدامة لبناء المدنية الإنسانية . . . فنظرا
إلى هذه الحقائق واطمئناناً لصحتها رضى الرأى العام الأمريكى

أن يُسن قانون منع الخمر ، فقررت الحكومة هذا القانون
بآراء العامة وأصواتهم ، ولكن لما أنفذته فيهم لم يلبث
الذين وضع القانون بآرائهم وأصواتهم أن خرجوا عليه ،
وبدأوا يسعون في الأرض فساداً بتعاطي الخمر ، والإبداع في
صناعتها على استخفاء ، والتفنن في أخبث أنواعها أكثر مما
كانوا يتعاطونها من قبل ، وكثرت فيهم المنكرات والفواحش
إلى حد بالغ ، حتى اضطروا إلى أن يقوموا بنقض ما عاهدوا
أنفسهم عليه وبتحليل ما كانوا قد حرموه ، فعلام أحلت
أم الخبائث ؟ أو قد عادت الضارة عندهم نافعة بدليل علمي
أو عقلي ؟ لا ، بل لأن أمارتهم بالسوء قد استولت على نفوسهم ،
وأسلموا لها قيادهم ، فكان كل واحد منهم قد اتخذ
إلهه هواه ، فأصروا في عبودية إلههم الباطل على نسخ القانون
الذي وضعوه بعد ما اعترفوا بصحته اعترافاً عقلياً وعلمياً .

هذه تجربة قد جربتها دولة متمهنة عمرأى منا ومسمع ،
وفي التاريخ تجارب أخرى كثيرة توضح لنا أن الإنسان لا يستطيع

أن يكون شارعاً لنفسه بنفسه ، فإنه إن نجا من شرور عبودية
الآلهة الكاذبة ، فلا يمكن تخلصه من تعبد شهواته الجاهلية
والاستسلام لنزغات الشيطان الكامن في نفسه ، فالبشر في أشد
الحاجة إلى أن تحد حريته بحدود ملائمة للفطرة الإنسانية وذلك
لصالحه وصالح المجتمع الذي يعيش فيه :

ونظراً لهذا الغرض الأسمى قيد الله تعالى الحرية الإنسانية
بقيود تسمى في لغة الإسلام « حدود الله » وهذه الحدود تشمل
على عدد من الأصول والمبادئ والأحكام القطعية ، تكون
الحياة الإنسانية قائمة على الحق والعدل لاتحيد عنه ولا تنزعج ،
فهذه أسوار للحرية منيعة لا يجوز لأحد أن يتجاوزها . نعم يجوز
لهم أن يضعوا قوانين فرعية ، أو أنظمة ولوائح (Regulations)
ضمن حدودها لما يمرض لهم من الحوادث .

أما إذا تعداها فلا بد أن يختل نظام المجتمع البشري اختلالاً
تاماً .

المقصود من وراء مرور الله :

وإني أضرب لك مثلاً الحياة الاقتصادية ، فإن الله تعالى قد ذكر لها في كتابه حدوداً ، وهى إثبات حق الملكية الفردية والأمر بأداء الزكاة ، وتحريم الربا ، والميسر ، والاحتكار وقانون الإرث ، وتقييد جمع المال وإنفاقه بقيود معلومة ، فإن راعى الإنسان هذه الحدود وحافظ عليها ، وسير حياته الاقتصادية فى ضمن دائرتها بقيت حريته الشخصية (Personal Liberty) سالمة غير ضائعة ولا مسلوبة ، هذا من جانب ، وفى جانب آخر لا تتولد من تسلط طبقة على أخرى تلك الحال الشنيعة التى مبدؤها الرأسمالية Capitalism الغاشمة ومنتهاها سيطرة ديكتاتورية العمال .

وكذلك ننظر إلى الحياة المنزلية (Family Life) فإنها إن تركت حبل المرأة على غاربها أصبحت الدار ملاءى بالجنور والظلم ، وجعلت الشياطين تبيض فيها وتفرخ ، ولكن الله قيدها بالحجاب الشرعى وقوامية الرجل ، وبيّن حقوق الرجل والمرأة

والأولاد، وأحكام الطلاق والخلع ، وحكم تعدد الزوجات تحت شروط ، وحدود الزنا والقذف . وَبَيَّنَ اللهُ كل ذلك ليحدد حياة البيت بحدود حكيمة ملائمة للفطرة البشرية ، إن تمسك بها الإنسان وعمل بها وجعل نظام الأسرة قائماً في ضمن هذه القيود والحدود أصبح البيت جنة فيها هناء وسرور ، ولن يتدفق فيها سيل حرية النساء الشيطانية التي تهدد اليوم الأمن والسلام العالمي ، وتنذر المدنية الإنسانية بالانقضاء .

كذلك قد بين الله في كتابه حدوداً للتمدين الإنساني وحياة البشر الاجتماعية كالتقصص في القتل وقطع اليد في السرقة وحرمة الخمر وحدود الستر للعورة وغيرها من الأصول الثابتة الراسخة ، وذلك ليوصد باب الشر والفساد إيصاداً كاملاً إلى الأبد .

ومن دواعي الأسف أني لا أجد متسعاً من الوقت لِأَفْصِلَ القول في حدود الله وألقى عليكم بياناً جامعاً ، يعلم منه ما لكل حَدٍّ من حدود الله من أهمية عظيمة وتأثير كبير في إقامة الحياة

الإنسانية على الحق والنصفة ، ولكن الذى أريد أن أُبين لكم
الآن ولو إجمالاً : أن الله سبحانه قد رزق الإنسان بهذه الحدود
نظاماً مستقلاً ودستوراً Constiuton جامعاً لا يقبل من التبديل
والتغيير شيئاً ، ولا يسلب الإنسان حريته ، ولا يعطل قواه
الفكرية والعقلية ، بل ينهج للنوع البشرى طريقاً مستقيماً ،
وصراطاً مستقيماً ، لئلا يضل فيقع في مهاوى الحياة لجهله وضعفه
المفطور عليه ، ولئلا تضعف قوته وسعيه في طريق الباطل ، وليسلك
سبيل الفلاح الحقيقي سلوكاً مستقيماً غير ضال ولا زال ؛ فمثله
كمثل الطرق في الجبل ، فإن اتفق لك أن تصعد في الجبل ،
رأيت طرقاً مُحفوفة بالمخاطر ، ففي جانب هوة عميقة وفي جانب
آخر صخوراً شماء عالية ، وكذلك رأيت حوالى هذه الطرق
أسلاكاً منصوبة من الحديد ، وذلك لئلا يسقط المسافر من
الهوة ، فهل لقائل أن يقول إن الأسلاك الحديدية نصبت لوضع
العقبات في سبيل حرية ركب المسافرين ؟ لا ، بل إنما أقيمت
لبسلامة من المهالك ، ولا يقعوا في المخاطر ، نصبت لتهدئهم

في مواطن زلقة ، ومواضع خطرة ، إلى وجهتهم المستقيمة ، حتى يصلوا منازلهم التي قصدوها .

فهذا هو مثل الحدود الإلهية في الإسلام ، فهي تعين لسفر الحياة البشرية وجهة الحق الصحيح ، وتهدى الناس في كل مفترق للطرق والمنعطفات إلى طريق الأمن والسلام ، وتحوّلهم عن جميع المتجهات المنحرفة إلى متجه قويم .

وهذا الدستور والنظام الإلهي كما تقدم لنا القول لا يقبل شيئاً من التبديل والتغيير ، فإن شئت خرجت عليه وأعلنت عليه الحرب كما خرجت عليه تركيا وإيران ، ولكن ليس لك أن تحدث فيه أدنى تغيير ، فإنه دستور إلهي سرمدى لا تغيير فيه ولا تبديل ، وقد كتب له أن يبقى ثابتاً واضحاً إلى يوم القيامة ، فالدولة الإسلامية عند ما يؤسس بنيانها يؤسس على هذا الدستور ، وما دام كتاب الله وسنة رسوله باقيين في العالم ، فلا يمكن تحويل مادة من قوانينه عن مكانها ، فمن كان يريد أن يعيش مسلماً فإنه يحتم عليه إتباعه والاستمسك به .

غاية الدولة الإسلامية

للدولة الإسلامية القائمة على أساس هذا الدستور غاية ذكرها

الله تعالى في كتابه في مواضع عديدة منها قوله :

« لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ » .
(الحديد : ٢٥)

فالمراد من الحديد في الآية هو القوة السياسية^(١) . والآية

قد بينت ما تبعث الرسل لأجله ، وهو أن الله قد أراد بيعنهم أن يقيم في العالم نظام العدالة الاجتماعية (Social Justice) على أساس ما أنزله عليهم من البينات وما أنعم عليهم في كتابه من الميزان أى نظام الحياة الإنسانية العادل . وقال في موضع آخر :

« الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ »

(١) أى قوة السلطان الذى يمنع بعض الناس من بعض كما قال الإمام

الغزالي (م . الندوى) .

وَأَتَوْكُمُ الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ .
(الحج : ٤١)

وقال :

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ . (آل عمران : ١١٠)

من تدبر هذه الآيات اتضح له أن الدولة التي يريدنا القرآن
ليست لها غاية سلبية (Negatrue) فقط بل لها غاية إيجابية
(Positive) أيضاً ؛ أى ليس من مقاصدها المنع من عدوان الناس

بعضهم على بعض وحفظ حرية الناس والدفاع عن الدولة فحسب ،

بل الحق أن هدفها الأسمى هو نظام العدالة الاجتماعية الصالح

الذي جاء به كتاب الله . وغايتها في ذلك النهى عن جميع

أنواع المنكرات التي ندد بها الله في آياته ، واجتثاث شجرة

الشر من جذورها ، وترويح الخير المرضى عند الله ، المبين

في كتابه ، ففي تحقيق هذا الغرض تستعمل القوة السياسية تارة

ويستفاد من منابر الدعوة والتبليغ العام تارة أخرى ، ويستخدم

لذلك وسائل التربية والتعليم طوراً ، ويستعمل لذلك الرأي العام
والنفوذ الاجتماعى طوراً آخر ، كما تقتضيه الظروف والأحوال .
فمن الظاهر أنه لا يمكن لمثل هذا النوع من الدولة أن تجد
دائرة عملها ؛ لأنها دولة شاملة محيطها بالحياة الإنسانية بأسرها
وتطبع كل فرع من فروع الحياة الإنسانية بطابع نظريتها الخلقية
الخاصة وبرنامجها الإصلاحي الخاص ، فليس لأحد أن يقوم
في وجهها ويستثنى أمراً من أموره قائلاً إن هذا أمر شخصي
خاص لكيلا تتعرض له الدولة . وبالجمل ، إن الدولة الإسلامية
تحيط بالحياة الإنسانية وبكل فرع من فروع الحضارة وفق
نظريتها الخلقية وبرنامجها الإصلاحي . فإذاً هي تشبه الحكومات
الفاشية والشيوعية بعض الشبه ، ولكن مع هذه الهيمنة
(Totality) لا يوجد في الدولة الإسلامية تلك الصبغة التي اصطفت
بها الحكومات المهيمنة (Totalitarian) والاستبدادية
(Authoritarian) في عصرنا هذا . فلا يوجد في الدولة الإسلامية
شيء من سلب الحرية الفردية ، ولا أثر للسيطرة (الدكتاتورية)

والزعامة المطلقة . فالاعتدال الكامل الذى يوجد فى نظام
الحكومة الإسلامية ، وتلك الخطوط الدقيقة التى خطتها بين
الحق والباطل ، يشهدان عند أصحاب البصيرة أن مثل هذا النظام
الصالح الوسيط لا يضعه إلا الله الحكيم الخبير .

الدولة الفكرية

هذا ، والأمر الثانى يبدو لمن أنعم النظر فى دستور الدولة
الإسلامية وغايته الحكيمه ووضعيته الإصلاحية ، هو أن هذه
الدولة لا يتولى أمرها إلا الذين آمنوا بهذا الدستور ، وجعلوه غاية
حياتهم ومطمح أنظارهم ، الذين لم يخضعوا لبرنامج الإصلاحى
ولم يظهروا تأييدهم لخطته العملية فحسب ، بل كان الإيمان بصدق
تعاليمه قد تغلغل فى عروقهم وكانوا على معرفة تامة بروحه وطبيعته
وما يشتمل عليه من التفاصيل والجزئيات ، وما اتخذ الإسلام
فى ذلك حدوداً وقيوداً جغرافية أو لسانية أو عنصرية ، وإنما
يعرض دستوره على الناس كافة ، ويبين لهم غايته وبرنامج
الإصلاحى ، فمن قبله منهم أيّاً كان وإلى أى نسل أو إلى أية

أرض أو أمة ينتمى ، فهو يصلح أن يكون عضواً فى الحزب الذى أسس بنيانه لتسيير دفة هذه الدولة . وأما من لم يقبله فلا يسمح له بالتدخل فى شئون الدولة أبداً وله أن يعيش فى حدود الدولة كأهل الذمة (Subject) متمتعاً بحقوق عادلة مبينة فى الشريعة لأمثاله ، وكذلك تكون له عصمة من قبل الإسلام حاصلة فى نفسه وماله وشرفه ، ولكن لا يكون له حظ فى الحكومة فى حال من الأحوال ، لأن الدولة دولة حزب خاص مؤمن بعقيدة خاصة وفكرة مختصة به ، وههنا أيضاً نوع من المماثلة بين الدولة الإسلامية والدولة الشيوعية ، ولكن الدولة الإسلامية بريئة كل البراءة مما تأتى به الدول الشيوعية من أعمال مخزية ضد الذين لا يوافقون على نظرياتهما ، فلا يوجد فى الإسلام ما يوجد فى الدولة الشيوعية من تسليط آرائها الاجتماعية ومناهجها العمرانية على الناس قهراً بعد التغلب والتمسك فى الأرض ، واستصفاء أموالهم وسفك دمائهم وتعذيبهم بعذاب من النار والحديد ، أو أن يؤتى بمئات الألوف من الناس فيرمى بهم إلى سيبيريا جهنم

المعمورة الأرضية . وبالجملة ، كل ما أعطى الإسلام أهل الذمة من الحقوق والامتيازات في دولته ، وما خط في هذا الشأن من خطوط بين الحق والباطل والعدل والظلم ، كل من رآها واطلع على محاسنها تبين له ما يكون من التفاوت العظيم بين المصلحين الإلهيين وبين الدجالين منهم ، في أعمالهم وبرامج إصلاحهم .

نظريّة الخلاف

هذا ويحسن بي أن أقول كلمة موجزة في هيئة الدولة الإسلامية وطرار بنائها . فالحاكم الحقيقي في الإسلام إنما هو الله وحده كما تقدم الكلام عليه ، فإذا نظرت إلى هذه النظرية الأساسية وبحث عن موقف الذين يقومون بتنفيذ القانون الإلهي في الأرض ، تبين لك أنه لا يكون موقفهم إلا كموقف النواب عن الحاكم الحقيقي ، فهذا هو موقف أولى الأمر في الإسلام بعينه . قال تعالى في كتابه العزيز :

«وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

لَيْسَتْ خُلَفَائِهِمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ»

(النور: ٥٥)

فهذه الآية توضح نظرية الدولة (Theory of State) في الإسلام إيضاحاً مبيناً ، فإن الله قد بين فيها أمرين عظيمين ونكتتين أساسيتين :

فالنكتة الأولى أن الإسلام يستعمل دائماً لفظة الخلافة (P) (Vicegerency) بدل لفظة الحاكمية (Sovereignty) ، وإذا كانت الحاكمية لله خاصة فكل من قام بالحكم في الأرض تحت الدستور الإسلامي يكون خليفة (Vicegerent) الحاكم الأعلى ولا يتولى إلا ما ولاه المستخلف — أى الحاكم الأعلى — من أملاكه وعبيده نيابة عنه .

والنكتة الثانية البديعة في هذه الآية أن الله قد وعد جميع المؤمنين بالاستخلاف ، ولم يقل أنه يستخلف أحداً منهم ، (C) فالظاهر من هذا أن المؤمنين كلهم خلفاء الله ، وهذه الخلافة التي أوتيتها المؤمنون خلافة عمومية (Popular Vicegerency)

لايستبد بها فرد أو أسرة أو طبقة ، بل كل مؤمن خليفة من الله ، وكل واحد مسئول أمام ربه من حيث كونه خليفة كما جاء في الحديث :

« كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » .

وليس أحد منهم بأخط منزلة من آخر مثله في هذا الشأن من أية وجهة كانت .

الجمهورية الإسلامية :

كل ما قدمت آنفاً ، هو أساس الجمهورية الإسلامية ، وإذا أنعمنا النظر في مبدأ هذه الخلافة العمومية التي جاء بها الإسلام ، ووقفنا على تفاصيلها ، ظهرت لنا النتائج الآتية :

١ - المجتمع الذي يكون كل عضو منه خليفة لا يتسرب إليه فساد التفريق بين الطبقات ، ولا شر الامتيازات التي تأتي من جهة الحياة الاجتماعية (Social Life) والفوارق النسبية ، ويكون أفراد هذا المجتمع سواسية ، لا يكون لأحد فضل على آخر إلا من جهة المواهب الشخصية ، والسجايا الذاتية ، وهذه

هي الحقيقة التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم تبيناً ، وأوضحها مراراً كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم في كلامه الجزل البليغ :
 « ليس لأحد فضل على أحد إلا بدين أو تقوى ، الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى » (١) .

ولما دخلت بلاد العرب كلها - بعد فتح مكة - في حوزة الدولة الإسلامية ، قال النبي صلى الله عليه وسلم لعشيرته الذين كانوا يوم ذاك في بلاد العرب بمنزلة البراهمة في الهند . قال :
 « يامعشر قريش ! إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، أيها الناس : كلكم من آدم وآدم من تراب ، لا فخر للأنسب ، لا فضل للعربي على العجمي ، ولا للعجمي على العربي ، « إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ » (٢) .

(١) المسند لابن حنبل رحمه الله تعالى ، ملتبقي الأخبار مع نيل الأوطار

(جزء ٤ ص ٣١١) .

(٢) الجامع الترمذى - مشكاة المصابيح : باب المفاخرة .

٢ — وفي مثل هذا المجتمع لا تحول عقبات النسل أو الحرفة أو المنزلة في المجتمع بين الفرد أو جماعة من الأفراد وبين مواهبهم الشخصية وتنمية سجاياهم الفردية وملسكاتهم المتنوعة المستودعة في نفوسهم ، بل لكل فرد من أفراد المجتمع أن يترقى إلى ما شاء الله وإلى ما آتاه الله من استعداد وقوة ، من غير أن يمنع الآخرين من التقدم والرقى الفطري ، وهذا ما نجده في الإسلام إلى درجة ليس وراءها مطمح لناظر ؛ فإن الموالي وأبناءهم قد نصبوا ولاية على الأقاليم وقواداً للعساكر ، وقد اتبع أمرهم رؤساء البيوتات الشريفة ، وعاشوا تحت ولايتهم ، طائعين غير كارهين ، وكذلك كثير ممن كان يخصف النعال أصبحوا أئمة الناس ، وكذلك النساجون والبرزازون وغيرهم من أصحاب الحرف والمهن ، تبوؤوا مناصب الإفتاء والقضاء ، وهؤلاء كلهم يعدون اليوم من شيوخ الإسلام والسلف الصالح . وقد ورد في الحديث أن النبي صلى الله

عليه وسلم قال : « اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشي » ^(١) مما أقام ضللكم كتاب الله سنة رسول الله

٣ — وفي مثل هذا المجتمع ، لا يكون لرجل أو طائفة ^(م) أن تستبد بالأمر أو تنقسم عرش الديكتاتورية ، لأن كل فرد من أفراد هذا المجتمع خليفة ، ولا يجوز لطائفة أو فرد من أفرادها أن ينتزع حق الخلافة من جمهور المسلمين وينصب نفسه مسيطراً عليهم ، والذي يتولى هذا الأمر في الاسلام — منزلته الحقيقية — أن جمهور المسلمين أو الخلفاء — إن آثرنا الكلمة الاصطلاحية — قد فوضوا خلافتهم إلى رجل منهم وجعلوها مركزة (Conentrated) في ذاته لتنفيذ الأحكام ، وتسيير دفة الأمر بسهولة ، وذلك عن رضى منهم . واتفاق كلمتهم ، فهو مسئول عند الله في جانب ، وبجانب آخر مسئول عند عامة الخلفاء أى المسلمين الذين فوضوا إليه أمر الخلافة . ^(ع) فإن استبد بالأمر ونصب نفسه ديكتاتوراً مطاعاً على الإطلاق ،

(١) الجامع الصحيح للبخارى — مشكاة المصابيح : باب الإمارة

فهو غاصب وليس بخليفة ، لأن الديكتاتورية بحقيقتها ضد الخلافة العمومية ، ومما لا مجال فيه للريب أن الدولة الإسلامية دولة مهيمنة أو مطلقة (Totalitarian) ، محيطة بجميع فروع الحياة ونواحيها ، ولكن أساس هذه الهيمنة والإحاطة التامة (Totality) إنما هو القانون الإلهي الجامع الواسع الذي وكل إلى الحاكم المسلم تنفيذه في الناس ، فكل ماورد في الكتاب العزيز من البنات والتعاليم الشاملة لجميع نواحي حياتهم ، إنما ينفذ فيها تنفيذاً محيطاً جامعاً ، لكن الحاكم المسلم ليس له أن يتخذ خطة التقييد الاجتماعي^(١) (Regimentation) من تلقاء نفسه ، معرضاً عن تلك التعاليم والبنات ، فلا يجوز له أن يقهر الناس على اختيار حرفة دون أخرى ، وكذلك ليس له أن يقهرهم على اكتساب فن دون آخر ، أو تعليم أولادهم نوعاً من العلوم دون آخر ، فإن الإسلام لم يخول الأمير تلك السلطة المطلقة الذي استبد بها

(١) التقييد الاجتماعي : اصطلاح عليه في البلاد التي كانت قد استبدت بأمرها الديكتاتورية كألمانيا وإيطاليا ومعناه أن يقيد سكان البلاد أجمعون بقبود وأصناف من قوانين الحكومة في جميع نواحي حياتهم الاجتماعية والاقتصادية (م . الندوى)

الطواغيت المسيطرون (Dictators) في روسيا وألمانيا وإيطاليا ،
وتمتع بها واستخدمها « أتاتورك » في تركيا .

وهناك نقطة أخرى مهمة ، وهي أن كل فرد من أفراد المسلمين
مستول عند الله بصفته الفردية (Personal Responsibility)
لا يشاركه فيها أحد غيره ؛ فلا بد أن يعطى كل فرد حرية تامة
في حدود القانون ليختار مايشاء من خطة ، ويستعمل قوته للتبريز
فيما تميل إليه نفسه من صناعة ، فإن حالت دون ذلك عقبات من
قبل الأمير فهو ظلم يعاقب عليه عند الله ، ومن أجل ذلك لن تجد
أثراً من أمثال هذا التقييد الاجتماعى فى عهد النبي صلى الله عليه
وسلم وخلفائه الراشدين المهديين .

٤ - ومن حق كل فرد فى هذا المجتمع سواء كان ذكراً
أو أنثى - إذا كان عاقلاً بالغاً - أن يكون له رأى فى مصير الدولة
لأنه منعم عليه بنصيبه من الخلافة العمومية ، ولم يخص الله تلك
الخلافة بشروط خاصة من الكفاءة والثروة ، بل هى مشروطة
بالإيمان والعمل الصالح فحسب ، فالمسلمون سواسية فى حق
التصويت وإبداء الرأى .

التوافق بين الفردية والجمعية

هذه نبذة مما يوجد في الإسلام من مزايا الجمهورية الصالحة ،
^{Individualism} وبجانب آخر قد سد الإسلام باب الفردية . (Individualism)
الهدامة للجمعية (Socialism) فلا تضع في نظام الإسلام
شخصية الفرد كما تضع في نظام الشيوعية والفاشية ، وكذلك
لا يتعدى الفرد في الإسلام حدوده بحيث يكون ضاراً للجماعة
كما هو شأنه في نظام الجمهورية الغريبة . وإن غاية حياة الفرد في
الإسلام إنما هي غاية الجماعة بعينها ؛ أي تنفيذ القانون الإلهي في
الدنيا وابتغاء وجهه تعالى في الآخرة . وزد على ذلك أن الإسلام
قد منح الفرد ما كان يتعلق بذاته من الحقوق ، وكذلك فرض
عليه واجبات مخصوصة للجماعة ، وبهذه الصورة ظهر بين الفردية
والجمعية في الإسلام توافق (Harmony) غريب بحيث يتيسر
لل فرد نماء قوته وارتقاء شخصيته ، ثم يصبح عوناً بقوته الراقية
فيما فيه خير وسعادة للمجتمع . وهذا موضوع مستقل لا يسعني
في هذا الموقف استيفاء حقه من البيان ، وإنما أردت مما أشرت

إليه آنفاً أن أسد باب سوء التفاهم الذي يمكن للقارىء أن يقع فيه مما جئت به من شرح للجمهورية الإسلامية في الفصل المتقدم .

الدولة الإسلامية وما يتألف منها :

إذا تأملت بعض ما تقدم لى بيانه فيما سبق من تصور (Conception) الخلافة العمومية والإحاطة بفروعه وتفاصيله ، تبين لك أن منزلة الإمام أو الأمير أو الرئيس فى الدولة الإسلامية ليست بأكثر ولا أقل من أن جمهور المسلمين — الخلفاء — قد اختاروا عن أنفسهم رجلاً هو أفضلهم وأتقاهم وأودعوه ما بيدهم من أمانة الخلافة ، وأما تسميته بالخليفة فليس معناه أنه هو الخليفة وحده ، بل معناه أن خلافة المسلمين العمومية أصبحت مركزة فى ذاته .

وهنا أنا مفض إليكم بشيء من التفاصيل عن الحكم الإسلامى ولو على وجه الإجمال ، لتتجلى لكم منه صورة واضحة ويبد الله التوفيق :

أولاً : إن انتخاب الأمير لا يكون إلا على أساس الآية الشريفة .

« إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » (الحجرات : ١٣)

أى لا ينتخب للإمارة إلا من كان المسلمون يثقون به وبسيرته وبطباعه وخلقه ، فإذا انتخبوه فهو ولى الأمر المطاع فى حكمه ولا يعصى له أمر ولا نهى ، ويعتمد عليه فى تنفيذ الأوامر اعتماداً كاملاً ، ما دام يتبع الشريعة ويحكم بالكتاب والسنة .

ثانياً . الأمير الإسلامى ليس له فضل على جمهور المسلمين فى القانون ، وإنما هو رجل من الرجال ، يوجه إليه النقد فيما يترأى للعامة من الأخطاء فى سياسة للناس ، والزلات فى حياته الذاتية فهو يعزل إذا شاءت الأمة ، وترفع عليه القضايا فى المحاكم ، ولا يستحق أن يعامل فيها معاملة يمتاز بها عن غيره من المسلمين

ثالثاً : الأمير محتوم عليه المشاورة فى الأمر . ومجلس الشورى لا بد أن يكون حائزاً ثقة جميع المسلمين ، وليس من

المحظور الشرعى أن ينتخب هذا المجلس بأصوات (Voies) المسلمين وآرائهم ، وإن لم يكن له نظير في عهد الخلافة الراشدة .

رابعاً : والأمور تقضى في هذا المجلس بكثرة آراء أعضائه في عامة الأحوال ، إلا أن الإسلام لا يجعل كثرة العدد ميزاناً للحق والباطل :

« قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ »

(المائدة : ١٠٠)

فإنه من الممكن في نظر الإسلام أن يكون الرجل الفرد أصوب رأياً وأحد بصراً في مسألة من المسائل من سائر أعضاء المجلس ، فإن كان الأمر كذلك ، فليس من الحق أن يرمى برأيه لأنه لا يؤيده جمع غفير .

فالأمير له الحق أن يوافق الأقلية أو الأغلبية في رأيها ، وكذلك له أن يخالف أعضاء المجلس كلهم ويقضى برأيه ، ولكنه من الواجب على جمهور المسلمين أن يراقبوا الأمير وسيرته في رعيته مراقبة شديدة ، هل هو يتصرف في الأمور ويحكم فيها

على تقوى من الله أم بهوى من نفسه ؟ فإن رأوه يتبع الهوى
في عمله فلهم أن يعزلوه ويخلعوه عن منصبه .

✓ فامسا : لا ينتخب للإمارة أو لعضوية مجلس الشورى
أو لأى منصب من مناصب المسؤولية من يرشح نفسه لذلك
أو يسعى فيه سعياً ما ، فإن للنبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنا
والله لا نولى هذا العمل أحداً سألناه أو حرص عليه » .

ومن المؤكد أنه ليس فى المجتمع الإسلامى محل للترشح
(Candidature) للمناصب والدعايات الانتخابية أصلاً ، ومما يمجبه
الدوق الإسلامى وتآباه العقلية الإسلامية ، أن يقوم لمنصب واحد
اثنان أو ثلاثة أو أربعة من طلابه ، فينشر كل واحد منهم خلاف
الآخر من نشرات تبكى لها المروءة ويندى لها جبين الشرف
الإسلامى ، ويعقدون حفلات لمده أنفسمهم والطعن فيمن سواهم
ويستخدمون الصحف والجرائد للدعاية استخداماً ، ويفرون
أصحاب الأصوات بأنواع من الحيل الخبيثة ، ويطمعونهم فى المال
وتجربى سياراتهم ليل نهار لتسفيه الناس ، ثم ينجح منهم من كان

أكثرهم كذباً وميناً ، وأدهام تلفيقاً وتزويراً ، ومن كان أشدهم
إسرافاً للمال . فهذه طرق ملعونة للجمهورية الشيطانية ، لو وجد
من فعل عشر معشارها في الدولة الإسلامية لرفع أمره إلى المحكمة
وعوقب عليها عقاباً شديداً ، فضلاً عن أن ينتخب عضواً لمجلس
شورى الخلافة .

سارماً : وفي مجلس الشورى الإسلامي لا يمكن أن ينقسم
أعضاؤه جماعات وأحزاباً ، بل يبدي كل واحد منهم رأيه بالحق
بصفته الفردية ، فإن الإسلام يأبى أن يتحزب أهل المشورة
ويكونوا مع أحزابهم سواء كانت على حق أو على باطل ،
بل الذي يقتضيه الروح الإسلامي أن يدور مع الحق حينما كان
لا يحيدوا عنه قيد شعرة أبداً ، فإن وجدوا اليوم رأى واحد منهم
حقاً وصواباً فليكونوا معه ، وإن وجدوا رأى ذلك الرجل
نفسه في مسألة أخرى في الغد خلافاً للحق فليعارضوه .

سابعاً : إن مجالس القضاء والحكم في الإسلام خارجة عن
حدود الهيئات التنفيذية ، تماماً ، لأن القاضي من وظائفه تنفيذ

القانون الإلهي في عباد الله ، فلا يتولى الحكم في مناصب القضاء
 نائباً عن الخليفة بل عن الله عز وجل ، فليس الخليفة في مجلسه
 إلا كرجل من الرجال ، وليس لأحد أن يستثنى من الحضور في
 مجلس الحكم لأجل شرفه أو شرف أسرته أو لأجل ما عهد
 إليه من المناصب الرفيعة ، وإن الرجل وإن كان أجيراً أو فلاحاً
 أو فقيراً معد ما له أن يرفع القضية إلى مجلس الحكم على العلية
 من الناس حتى على أمير المؤمنين نفسه ، وللقاضي أن يحكم بالحق
 ويجرى قانون الشرع على الخليفة إذا تحققت القضية عليه كما يحكم
 على رجل من عامة المسلمين وكذلك إذا كان الخليفة يشكو من
 أحد شكوى تتعلق بذاته ، فليس له أن يظفر غليل نفسه ممن
 يشكوه بما عنده من القوة والسلطة التنفيذية ، بل هو مضطر من
 جهة الشرع أن يرفع قضيته إلى المحكمة كعامة المسلمين .

خاتمة

هذا ولا يمكننى فى هذه المحاضرة الموجزة أن أرخى عنان الكلام فى خصائص الدولة الإسلامية وتفصيلها من نواحيها المتشعبة ، فإن روحها ومنهاج الحكم فى دائرتها نفوذها لا يمكن التفطن إلى دقائقها إلا بعد الاطلاع على مثل من مجريات الدولة الإسلامية فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين .
ومن دواعى الأسف أن ضيق الوقت ^(١) يعوقنى عن الإطالة ويحملنى على طرق باب الاختصار ، وبالجملة فإنى أرى أن ما بينته فيما تقدم فيه كفاية لاستجلاء صورة واضحة لطراز الدولة الإسلامية ومنهاجها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(انتهى الكتاب)

(١) أصل الرسالة محاضرة كما جاء فى مقدمة الترجمة .

تلخيص

نقاط أثارها الكاتب في بحثه :

١ - الإسلام نظام محكم أسس على مبادئ حكيمة متقنة ، ترتبط أركانه الكبيرة المهمة بجزئياته الصغيرة الدقيقة ارتباطا منطقيا ، وكل ماوضع فيه للحياة الإنسانية بمختلف شعبها من النظم ، إنما هو قد أخذ روحه واقتبس جوهره من تلك الأصول الأولية . ومن هذه المبادئ والأصول تخرج الحياة الإسلامية بمختلف فرووعها .

٢ - إن منبع الشر والفساد الحقيقي في المجتمع الإنساني إنما هو « ألوهية الناس على الناس » وهذه هي النظرية المشؤمة التي تولد الشر من بطنها في أول أمره ، وهي التي لا تزال تتفجر منها عيون الشر اليوم في كل مكان . فبمقتضاها فشا الظلم والجور والاستثمار الممقوت ، والتكبر في أرض الله بغير الحق ، وحرمت الروح البشرية حريتها الفطرية ، وغلبت العقول البشرية على أمرها ، ومنعت الشخصية الإنسانية كمال نشوئها وارتقائها .

٣ — إن رسل الله جميعاً قد أرسلوا لتحطيم سلاسل العبودية البشرية ، عبودية الناس للناس ، قد بعثوا ليخلصوهم من غُلواء من جاوزوا حدود البشرية ، ويضربوا على أيديهم حتى يعيشوا في الحدود التي قدرها الله لهم ، ويرفعوا الذين ظلمهم البشر وأرهقوهم بصنوف من العذاب ، ثم يجمعوا كلمهم على كلمة واحدة وتحت نظام للحياة عادل ، لا يكون فيه أحد عبداً لأحد ولا معبوداً بل يكونون جميعاً عباد الله وحده .

٤ — ان خصائص الدولة الإسلامية ثلاث :

(١) السيادة (Sovereignty) لله وحده وليس لغيره من البشر .

(٢) التشريع لله وحده وليس لنا الخروج عليه .

(٣) حكومة المسلمين تستمد طاعتها من تنفيذها لشرعية الله وسنة رسوله .

٥ — الدولة الإسلامية فريد طرازها ، فهي « الدولة الإلهية

الجمهورية » (Thoe—Democrocy) خول فيها للمسلمين سلطان شامل لجميع طبقاتهم في دائرة التشريع المنزل ، تحت سلطة الله القاهرة وحكمه الذي لا يغلب ، ولا تتألف الهيئة التنفيذية إلا بآراء المسلمين فييدهم يكون عزلها من منصبها

- ٦ — البشر في أشد الحاجة إلى أن تحدد حريته بمحدود ملائمة
للفطرة الإنسانية تحقيقا لصالح الفرد والمجتمع ، ولذلك قيد
الله تعالى الحرية الإنسانية بمحدود إلهية تشتمل على عدد من
الأصول والمبادئ والأحكام القطعية ، لتكون الحياة
الإنسانية قائمة على الحق والعدل ، لا تحيد عنه ولا تترشح
إذ هذه أسوار منيعة للحرية لا يجوز لأحد أن يتجاوزها .
- ٧ — إن الدولة القرآنية ليست لها غاية سلبية فقط بل لها غاية
إيجابية أيضا ، أي ليس من مقاصدها المنع من عدوان الناس
بعضهم على بعض وحفظ حرية الناس والدفاع عن الدولة
فحسب ، بل الحق أن هدفها الأسمى هو نظام العدالة
الاجتماعية الصالح الذي جاء به كتاب الله ، فهي بذلك دولة
عامة محيطة بالحياة الإنسانية بأسرها ، وتطبع كل فرع من
فروع هذه الحياة بطابع نظريتها الخلقية الخاصة وبرنامجهما
الإصلاحى الخاص بها
- ٨ — لا يتولى أمر هذه الدولة إلا الذين آمنوا بدستورها وجعلوه
غاية حياتهم ومطمح أنظارهم ، الذين تغفلل الإيمان في
أحشائهم ، وامتزجت تعاليمه بلحومهم ودمائهم ، وعلموا
تفاصيله علما جامعا وافيا لا أثر فيه لعامل جغرافى أو لوى
أو لسانى .

٩ — ندب الله تعالى — وهو صاحب السيادة المطلقة — المسلمين ليكونوا خلفاء في الأرض ، وهذه الخلافة لا يستبد بها فرد أو أسرة أو طبقة ، بل كل مؤمن خليفة لله في موضعه ، وليس أحد منهم بأحط منزلة من أحد .

١٠ — من مزايا هذه الجمهورية الإسلامية :

(١) أن أفراد المجتمع سواسية لأفضل لأحد على آخر إلامن

جهة الكفاية الشخصية والسجاي الذاتية **والفقوى**

(٢) لكل فرد من أفراد المجتمع أن يترقى إلى ما شاء الله

بحسب ما أناه الله من استعداد وقوة من غير أن يمنع الآخرين من التقدم والترقى الفطرى .

(٣) فى مثل هذا المجتمع لا يجد رجل أو جماعة سبيلا

للاستبداد بالأمر ، فالحاكم منفذ لشرعية إلهية واضحة ، مسئول أمام من وكله الله أمرهم من المسلمين .

١١ — ومنهاج الحكم الإسلامى :

(١) ينتخب المسلمون أئقاعهم ديناً وأوضحهم كفاية ثم يلتزمون

طاعته ما أطاع الله ورسوله .

(٢) ليس للحاكم الإسلامى فضل على جمهور المسلمين فى

نظر القانون .

(٣) يلزم الأمير برأى أهل الشورى المنتخبين من عامة المسلمين .

(٤) تفرض على المسلمين مراقبة حاكمهم في تنفيذ القانون ولهم حق عزله إن اتبع هواه .

(٥) لا ينتخب لأى منصب من مناصب المسؤولية العامة في الدولة كل من يرشح نفسه أو يسعى فيها سعيًا ما .

(٦) ليس في دولة الإسلام « معارضة محترفة » إنما أهل الشورى مع الحق أينما كان .

(٧) القضاء مستقل تمامًا عن كل سلطة للحاكم وسلطة لأهل الرأي ، والقاضي نفسه خليفة عن الله تعالى يحكم بأمره وليس بخليفة للحاكم الإنساني .

لجنة الشباب المسلم

القاهرة في { غرة ذى القعدة سنة ١٣٧٠
٤ أغسطس سنة ١٩٥١



منشورات دار العروبة للدعوة الإسلامية

باللغة العربية

- ١ - نظرية الإسلام السياسية
- ٢ - منهاج الانقلاب الإسلامى
- ٣ - الدين القيم
- ٤ - الإسلام والجاهلية
- ٥ - معضلات الاقتصاد وحلها في الإسلام
- ٦ - شهادة الحق
- ٧ - نظام الحياة في الإسلام
- ٨ - الجهاد في سبيل الله .
- ٩ - الجماعة الإسلامية (دعوتها وأهدافها ومهاج عملها)
- ١٠ - الإسلام ودعوته .

عنواننا بيا كستان :

دار العروبة للدعوة الإسلامية

راولپنڈی
(پاکستان)

Rawlpinbi
(Pakistan)

دعوتنا

- ١ - دعوتنا للبشر كافة والمسلمين خاصة أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئاً ولا يتخذوا إلهاً ولا رباً غيره .
- ٢ - ودعوتنا لكل من أظهروا الرضا بالإسلام دينهم أن يخلصوا دينهم لله ويتركوا أنفسهم من شوائب التناقض وأعمالهم من التناقض .
- ٣ - ودعوتنا لجميع أهل الأرض أن يتحدثوا إصلاً عاماً في أصول الحكم الحاضر الذي استبد به الطواغيت والفجرة الذين ملأوا الأرض فساداً ، وأن ينزعوا هذه الإمامة الفكرية والعملية من أيديهم حتى يأخذها رجال يؤمنون بالله واليوم الآخر ويدينون دين الحق ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً .

الجماعة الإسلامية بالباكستان

التمن : قروش

مطبعة دار الكتب

ان

ه

د

ما

ز

ب

ع

ط

و

ر

ALB. LIBRA

DATE DUE

[illegible]

AUB. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00476033

